جواب سؤال ينعلّق بما وَرَد فيما أظرالخضر

تأثيث الإَمِام(لْكُ لاَمة عَجَدَبُ عَلَيْكُ الشَّوكَانِيُّ المتوفِيسَنِة ١٢٥٠ هـ

> اعُتَنَبِهِ وخِزَيِحِٱمَادِيْهِ أَحِصُهَد فَهَيْدِ المُزِيِّدِيثِ





أشكل عَلَى السائل - أَلْهَمَهُ الله حقيقة الأمر إن شاء الله- وجه الاختلاف في إسناد «الإرادة» في قوله مَعَ حكايته عن الخضر الطَّيْئِ حيث أسند له في بيان خرق السَفينة إلى نفسه منفردًا فقال: ﴿فَارَدْتُ﴾. وفي بيان قتل الغلام، إلى نفسه بصفة التعظيم والجماعة فقال: ﴿فَارَدْتَا﴾.

وني بيان إقامة الجدار، إلى لفظ «رب» فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُكَ ﴾ [الكهف: ٧٩- ٨٦]. هذا، والمطلوب من شيخ الإسلام، المتحف بالشريف السلام –سلمه الله– إفادة السائل بالجواب. فالمقصد الفائدة وطلب الثواب، ومن الله التوفيق، ومنه الوصول إلى غاية التحقيق، وصلى الله عَلَى سيدنا مُحَمَّد وآله.

الحمد الله، الجواب:

اعلم أنه قد وجد في الخضر ﷺ المقتضى للمجيء بنون العظمة، لما تفضل الله به عليه مِن العطايا العظيمة، والمواهب الجسيمة التي مِن جملتها العلم الذي فضله الله به حتى أخبر موسى النظي لما سأله: هل في الأرض اعلم منه؟

فقال: عبدنا حضر، كما هو ثابت في الصحيح. كَانَ هذا وجهًا صبيحًا، ومسوعًا صحيحًا للمحيء بنون العظمة تارة وعدم الجميء بِهَا أخرى. فقال: ﴿فَارَدَتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾. وقال: ﴿فَارَدَتُ أَنْ أَعِيبَا ﴾. وقال: ﴿فَارَدُتُ ﴾ ملاحظًا في أحد الموضعين لما يستحقه من التعظيم، تحدثا بنعم الله سبحانه عليه. وفي الموضع الآخر قاصدًا للتواضع، وأنه فرد من أفراد البشر، غير ناظر إلى تلك المزايا التي اختصه الله سبحانه بِهَا، مَع كون ذلك هو الصيغة التي هي الأصل في تكلم الفرد.

ومع هذا. ففي تلوين العبارة نوع مِن الحس الآخر. وهو الافتنان في الكلام، فإنه أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا كما قيل في نكتة الالتفات. ويمكن أن يقال: إنَّ خرق السفينة، لما كَانَ باعتبار تحصيل مسماه أمرًا يسيرًا، فإنه يحصل بنزع لوح مِن الواحها، قالَ: ﴿فَأَرُدتُ أَنْ أَعْيَبُهَا﴾.

ولما كَانَ القتل مِمَّا تتعاظمه النفوس، ويدخل فاعله الروعة العظيمة، نزل منزلة ما لا يقدر عليه إلا جماعة. ويمكن أيضًا وجه ثالث، وهو أن يقال: لما كَانَ خرق السفينة مما يمكن تداركه، بأن يرد اللوح الذي نزعه كَانَ ذلك وجهًا للإفراد، ولأنه يسير بالنسبة إلا ما يمكن تداركه، وهو القتل.

وأما قوله: ﴿فَأَرَادُ رَبُكِ﴾ فوجه نسبة الإرادة إلى رب سبحانه، أن هذه الإرادة وقعت عَلَى قوله: ﴿أَن يَبْلُغَا أَشْدُهُمَا﴾ [الكهف: ٨٦] ومعلوم أن ذلك لا يكون مِن فعل البشر، ولا بإرادته، لأن بقاعما في الحياة حتى يبلغا الأشد لا يدخل تحت طاقة البشر، ولا يصح نسبته إلى غير الرب ﷺ.

ولهذا يقول الخضر ﷺ: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلَّتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٦].

هذا ما خطر بالبال عَلَى هذا السؤال. ولم أقف عَلَى كلام لأحد مِن هذا التفسير فيما يتعلق بذلك، ولا أمكن البحث لكتب التفسير.

وفى هذه القصة شيء آخر، يحسن السؤال عنه، وهو أنه قَالَ بعد خرق السفينة: ﴿قَالَ ٱلۡمُ ٱقُلۡ إِنِّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، وقال بعد قتل الغلام: ﴿قَالَ ٱلۡمُ ٱقُلَ لُكَ إِنِّكَ﴾ [الكهف: ٧٥]، فزاد لفظ ﴿لكُ» في الموضوع الآخر دون الموضوع الأول.

ويُجاب عنه بما ذكرته في تفسيري مِن أن سبب العتاب في الموضوع الآخر، لما كَانَ أظهر، وموجبه أقوى، كَانَ وحهًا للزيادة. وقيل: زاد لفظ «لك» لتفيد التأكيد كما تقول لمن توبخه: لك أقول وإياك أعني، والله أعلم(''.

انتهى لفظ الجواب مِن خط شيخ الإسلام وبغية علماء الأنام مُحَمَّد بن عَلي الشوكاني، سلمه الله.

⁽۱) انظر: البخاري (۱۷/۱۳۰۶، ۱۷۰۰)، وتفسير البيضاوي (۱۸/۱۳)، والقرطبي (۱۸/۱۱، ۲۰)، وارد النظر الله و (۱۸/۱۰، ۲۰)، وابن كثير (۹۶٬۳۶، ۹۵)، والطبري (۱۸/۱۶، ۲۷۷)، والدر المنثور للسيوطي (۱۸/۱۶، ۱۳۵)، وتفسير الثعالبي (۲۳/۱۳)، وأبي السعود (۲۳/۱۳، ۲۳۸)، والوسيط للواحدي (۲/۲)، وتفسير البغوي (۱۷۰/۳)، وزاد المسير لابن الجوزي (۱۲/۲۱، ۱۷۰)، وروح المعاني للآلوسي (۲۲/۱۵، ۱۷۲)، وروح المعاني للآلوسي (۲۳/۱۵، ۳۳۷)، (۲۲/۱۲).